حيوانات البرّيّة والخليقة الجديدة في أشعيا: فشل وتجديد لبركة الله للإنسان في قصّة الخلق الأولى (تك ١: ٢٨)

القسّ هادي غنطوس
دكتور في العلوم البيبليّة

مقدّمة

هناك اتفاق واسع على أنّ كاتبي السفر يعتمدون في بناء رسالته على عدد من التقاليد المتعلقة بالخلق (٤٠: ١٢–١٧، ٢٢، ٢٦؛ ٤٢: ٥؛ ٤٤: ٢٤؛ ٤٥: ٧، ١٢)، إبراهيم (٤١: ٨؛ ٥١: ٢)/ الخروج وموسى (٤١: ١٧–٢٠؛ ٤٣: ١٦–١٧، ٢٠؛ ٤٨: ٢١؛ ٥١: ٩–١٠؛ ٥٢: ١١–١٢)، وداود (٥٥: ٣–٥) (Watts ٢٠٠٤، ٤٨٣–٤٨٤). حيث لا يختلف الباحثون على أنّ سفر أشعيا يتضمّن العديد من نقاط التلاقي والارتباط اللاهوتيّ مع التوراة بأسفارها الخمسة. ومن بين المواضيع التي غالبًا ما تتمّ الإشارة إليها والبحث فيها في ذلك السياق يبرز موضوع السبي، والعودة منه، وارتباطه بموضوع الخروج، الجولان في البرّيّة والدخول إلى الأرض، وموضوع الخليقة الجديدة وارتباطه بموضوع الخلق.

وبالتالي فالإشارة إلى البرّيّة في أشعيا ترى عادة على أنّها مرتبطة بالبرّيّة التي تاه فيها شعب الله لمدّة أربعين سنة في رحلة خروجه من أرض مصر. ولكنّ تلك القراءة على مشروعيّتها وغناها تفشل في تفسير نقطتين مميّزتين في الإشارة إلى البرّيّة في أشعيا. النقطة الأولى هي أنّ البرّيّة في أشعيا هي كثيرًا من تأتي إلى الشعب وليس الشعب هو من يذهب إليها، حيث أنّ أرض إسرائيل ومدنها، كما أرض ومدن الكثير من الشعوب الأخرى تتحوّل بحدّ ذانها إلى برّيّة. أمّا النقطة الثانية فهي أنّ الإشارة إلى البرّيّة في أشعيا كثيرًا ما تأتي في سياق استخدام صور عديدة لحيوانات البرّيّة التي تبرز بشكل واضح وتلعب دورًا هامًّا في السِفر.

حيوانات البرّيّة

كما أشرنا للتوّ، تلعب الحيوانات والوحوش دورًا هامًّا في أشعيا ؛ فيهوه نفسه يُشَبَّه بأسد (٣١: ٤)، وإسرائيل تأخذ صورة حيوان أكثر بلادة وعدم فهم وإدراك وإحساس من الثور والحمار (١: ٣). لكنّ معظم الإشارات إلى الحيوانات ووحوش البرّيّة تأتي في سياق إعلانات ضدّ إسرائيل والأمم، حيث يصوّر أشعيا في معظم تلك الحالات إسرائيل والأمم على أنّها مسكونة من قبل حيوانات البرّيّة.

يمكن تقسيم الويلات ضدّ إسرائيل والأمم في أشعيا إلى أربعة فئات: (١) ضدّ إسرائيل بشكل عامّ؛ (٢) ضدّ **إسرائيل** ويهوذا ككيانين منفصلين؛ (٣) ضدّ الأمم بشكل عامّ؛ (٤) ضدّ أمم معيّنة بحدّ ذاتها (Wenkel 2011, 255). لكنّ الفصل بين تلك الفئات ليس حادًّا، حيث أنّ الويل الأوّل ضدّ يعقوب (٢: ٦) يتحوّل ليشمل "كلّ مستكبر متعال وكلّ مترفّع" (٢: ١٢)، وكلّ "الأرض" (٢: ١٩)، والإنسان (٢: ٢٠). وتأتي الإشارة إلى الحيوانات في أشعيا في غالبيّتها العظمى في سياق تلك الويلات واللعنات، أو بشمل أقلّ في سياق البركة، كما يبيّن الجدول أدناه.

إسرائيل والأمم وحيوانات البرّيّة في سفر أشعيا

النصّ	العنصر المستهدف	الحيوان	لعنة / بركة
٢: **٢٠** في ذلكَ اليوم يطرَحُ البشَرُ للجُرذانِ والخفَافيش أصنامَ فضَّتِهم وأصنامَ ذهَبِهم الّتي صَنَعوها للعِبادةِ	الإنسان/ العالم بأسره	جرذان، خفافيش	لعنة

١١: ٦-٨ ٦فيَسكُنُ الذِّئبُ معَ الخروفِ، ويبيتُ النَّمرُ بجانب الجَدْي. ويَرعى العِجلُ والشِّبلُ معًا، وصبيٌّ صغيرٌ يسوقُهُما. ٧وتُصاحبُ البقَرَةُ الدُّبَّ ويبيتُ أولادُهُما معًا. ويأكُلُ الأسدُ التِّبنَ كالثَّور. ٨يلعبُ الرَّضيعُ على وكر الأَفعى، ويضَعُ يَدَهُ في مَكمَنِ الثُّعبانِ.	إسرائيل وكلّ الأرض	الذئب، الخروف، النمر، الجدي، العجل، الشبل، البقرة، الدبّ، الأسد، الثور، الأفعى، الثعبان	بركة
١٣: ١٩-٢٢ ١٩فإذا بابلُ زينَةُ الممالكِ وفخرُ أمجادِ الكَلدانيِّينَ تصيرُ كسَدومَ وعمورَةَعندَما دَمَّرَهُما اللهُ. ٢٠فلا يَسكُنُهَا أبدًا ساكنٌ، ولا تُعمَرُ إلى جيل فجيل. وفيها لا يُخَيِّمُ أعرابيٌّ،ولا ترعَى هُناكَ رُعاةٌ، ٢١بل تربضُ وحوشُ القَفر، ويملأُ البُومُ بُيوتَها. تأويَ إليها طُيورُ النَّعام، وترقُصُ فيها معَزُ الوَحش. ٢٢تعوي في أبراجها بناتُ آوى، والذِّئابُ في قُصورها المُترَفَة. وقتُ بابلَ على الأبوَابِ، وأيّامُها لا تطولُ.	بابل	وحوش القفر، البوم، النعام، المعز الوحشي، بنات آوى، الذئاب	لعنة
١٧: ١-٢ ١وحيٌ على دمَشقَ. دمَشقُ لا تُزالُ مِنْ بَين المُدُن، فتكونُ رجمَةً مِنَ الحجارَة ٢مدُنُهاتُهجَرُ إلى الأبد، فتكونُ مَربَضًا للقُطعانِ ولا أحدَ يُرعِبُها.	دمشق	القطعان	لعنة

١٨: ٦ هكذا تُترَكُ جُثَثُ القَتلى لِطُيورِ الجبالِ الكاسرة ولوحوشِ الأرضِ، فتُصيِّفُ علَيها الطُّيورُ وتُشتِّي وُحوشُ الأرضِ.	كوش	الطيور الكاسرة، وحوش الأرض	لعنة
٢٣: ١٣ أُنظُري ها أرضُها بغير شعب. صارَت مَسكنًا لوحوشِ البرّيّةِ، والحُصونُ الّتي أُقيمَت دُمِّرَت وجُعِلَت قُصورُها خَرابًا.	صور	وحوش البرّيّة	لعنة
٢٧: ١٠ المدينةُ الحصينةُ تُخرَّبُ وتُهجَرُ وتُهمَلُ وتُترَكُ كالقَفر. هُناكَ يَرعى العِجلُ، وهُناكَ يربُضُ ويَقرِضُ الأغصانَ.	إسرائيل	العجل	بركة
٣٠: ٦ يحملونَها مِنْ كُنوزِهِم وأموالِهِمِ على بهائِمَ ويتَّجهونَ نحوَ الجَنوبفي أرضِ الشِّدَّة والضِّيق، واللَّبوَةُ والأسدُ المُزمجِرُ، والأفعى والثُّعبانُ الطَّيَّارُ، يَحملونَها على ظُهور الحمير والجِمالِ إلى شعبٍ لاَ يَنفَعُهُم في شَيءٍ،	إسرائيل	البهائم، اللبوة، الأسد، الأفعى، الثعبان السامّ الطيّار، الحمير، الجمال	لعنة
٣٢: ١٤ القصرُ يَهجُرُهُ ساكنوهُ، والمدينةُ الصّاخبةُ تُخَلى. القلعَةُوالبُرجُ كلاهُما يصيرانِ مَغاورَ إلى الأبد، ومَمرحًا لحَميرِ الوحشِ ومَرعًى لقُطعانِ الماشيَةِ.	إسرائيل	حمير الوحش، قطعان الماشية	لعنة

٣٤: ١١-١٥ ١١يرثُها القُوقُ والقُنفُذُ ويسكُنُها الغُرابُ والبُومُ. يُمَدُّ عليها خَيطُ الخَراب، ويُلقَى مطمارُ الفَراغ. ١٢لاَ يَبقى مَنْ يَملكُ هُناكَ، وجميعُ أشرافها يَنقَرِضونَ، ١٣يطلَعُ الشَّوكُ في قُصورِها، والقُرَّاصُ والعَوسَجُ في حُصونِها. تكونُ مَسكنًا للثَّعالب، ومَسرَحًا لبَنات النَّعام. ١٤تتلاَقَى الوحوشُ وبناتُ آوَى ويتَنادَى مَعَزُ الوحش إليها. هُناكَ تستَقرُّ الغُولُ، وتجدُ لنَفسها مَقامًا. ١٥الأفعَى تُعَشِّشُ وتَبيضُ، وتَحتَضنُ بُيوضَها وتُفَرِّخُ، وهُناكَ تجتَمعُ الشَّواهينُ، كُلٌّ واحدٍ منها معَ الآخَرِ.	أدوم	القوق، القنفذ، الغراب، البوم، الثعالب، النعام، وحوش القفر، بنات آوى، المعز الوحشيّ، البوم، الشاهين	لعنة / بركة
٣٥: ٦-٩ ٦ويَقفزُ الأعرَجُ كالغَزال، ويتَرَنَّمُ لسانُ الأبكَم. تنفَجرُ المياهُ في البرّيّة، وتجرَي الأنهارُ في الصَّحراء، ٧ويَنقَلبُ السَّرابُ غديرًا، والرَّمضاءُ ينابيعَ ماء، وحَيثُ تسكنُ بناتُ آوى يخضَرُّ القصَبُ والبَرديُّ. ٨يكونُ هُناكَ طريقٌ سالكةٌ، يُقالُ لَها الطَّريقُ المُقدَّسةُ، لا يَعبُرُ فيها نجسٌ، ولا يَضلُّ إنْ سَلَكَها جاهلٌ. ٩لا يكونُ هُناكَ أسدٌ، ولا يَصعَدُها وحشٌ مُفتَرِسٌ، بل يسيرُ فيها المُخلَّصونَ.	إسرائيل	الأيّل، بنات آوى، الأسد، الوحوش المفترسة	بركة

٤٣: ٢٠ وُحوشُ البرّيّة تُمجِّدُني، الذِّئابُ وبَناتُ النَّعام، لأنِّي أجرَيتُ مياهًا في الصَّحراءِ لأسقيَ شعبيَ المُختارَ.	إسرائيل	وحوش البرّيّة، الذئاب، النعام	بركة
٥٦: ٩ تعالَي يا جميعَ وُحوش البَرِّ إلى الأكلِ، ويا جميعَ وُحوشِ الغابِ.	إسرائيل	وحوش البرّيّة، وحوش الغاب	بركة
٦٥: ٢٥ الذِّئبُ والحمَلُ يرعَيانِ معًا، والأسدُ كبقَرٍ يأكُلُ التِّبْنَ. أمَّا الحَيَّةُ فالتُّرابُ يكونُ طَعامَها. لا يَضُرُّونَ ولا يُفسدونَ في جبَلي المُقدَّسِ كُلِّه. هكَذا قالَ الرّبُّ.	الخليقة	الذئب، الحمل، الأسد، البقر، الحية	بركة

ومن الملفت للنظر أنّه، ومن خلال الإشارة إلى تلك الحيوانات، سواء بشكل إفراديّ أو جماعيّ، فإنّ نوع الدينونة نفسه يقع على إسرائيل والأمم. وإن كان تحديد هويّة بعض الحيوانات المذكورة أمرًا متعذّرًا، لكن من الواضح أنّها حيوانات غير مدجّنة أو مروّضة، لا بل إن ما كان سابقًا مسكونًا ومدجَّنًا يصبح خاضعًا للحيوانات البرّيّة (Wenkel 2011, 254-255). حيث يتضمّن أشعيا إشارة إلى حيوانات كان قد تمّ تدجينها، يتمّ عكس الاتجاه برفقتها كالخيل (٢: ٧) والعجل (٢٧: ١٠) والثيران والغنم (٧: ٢٥).

فالحيوانات البرّيّة، كما الحيوانات التي كانت مدجَّنة وأصبحت برّيّة، تسيطر في حالات كثيرة على مجال عيش الإنسان وسلطانه. وفي حالات أخرى، تصبح إسرائيل مضطرّة إلى الهرب والاختباء في الصخر والتراب (٢: ١٠)، مثلها مثل الحيوانات البرّيّة، التي تسكن بدورها مدن إسرائيل، وبالتالي فإسرائيل تنتقل هنا إلى مجال سيطرة الحيوانات، عوضًا عن العكس، وانتقال الحيوانات إلى مجال سيطرة الإنسان. وفي كلتا الحالتين النتيجة واحدة، وهي سيطرة الحيوانات على مكان حياة الإنسان وسيطرته،

وخضوع الإنسان لسلطان الحيوانات (Wenkel 2011, 255).

هناك نقاط عدّة تظهر أنّ الإشارة إلى حيوانات البرّيّة في سفر أشعيا يجب أن تقرأ في ضوء بركة الله للإنسان في قصّة الخلق الأولى (تك ١: ٢٨)، وليس في ضوء الإشارة إلى الحيوانات البرّيّة في لعنة العهد التثنويّ في تث ٣٢: ٢٤، وفي عقاب الربّ لإسرائيل في ٢ مل ١٧: ٢٦.

فمن جهة أولى، تحمل أش ٣: ١–٨ إشارة واضحة إلى ضرورة قراءة الويلات في أشعيا في ضوء تك ١: ٢٨. ومن جهة ثانية، فإنّ التركيز على سيطرة الحيوانات البرّيّة حيث كان يجب أن يسيطر الإنسان، وخضوع الإنسان لسلطانها عوضًا عن خضوعها هي لسلطانه، ترتبط ارتباطًا مباشرًا ببركة الله للإنسان ودعوته له ليتسلّط على جميع حيوانات الأرض في تك ١: ٢٦–٢٨:

٢٦. وقالَ اللهُ لِنَصنَعِ الإنسانَ على صُورَتِنا كَمِثالِنا، وليَتَسَلَّطْ على سمَكِ البحرِ وطَيرِ السَّماءِ والبهائمِ وجميعِ وُحوشِ الأرضِ وكُلِّ ما يَدِبُّ على الأرضِ. **٢٧**. فخَلَقَ اللهُ الإنسانَ على صورَتِه، على صورةِ اللهِ خلَقَهُ البشَرَ، ذَكَرًا وأُنثى خلَقَهُم. **٢٨**. وبارَكَهُمُ اللهُ، فقالَ لهُم اثمُروا واكثُروا واملأوا الأرضَ، وأَخضِعوها وتَسلَّطوا على سمَكِ البحرِ وطَيرِ السَّماءِ وجميعِ الحيوانِ الّذي يَدِبُّ على الأرضِ".

وبالتالي فسيطرة حيوانات البرّيّة على إسرائيل والأمم هي إعلان لفشل تلك البركة والدعوة، التي تمثّل بركة عهد النعمة الأول في الكتاب المقدس. الحلّ هو إنسانيّة جديدة تمنح السلطان على خليقة جديدة. من جهة ثالثة، يقدّم أشعيا الحلّ لسيطرة الحيوانات وسلطانها على الإنسان، أي لفشل بركة عهد النعمة الأول، بإنسانيّة جديدة تمنح السلطان مجدّدًا على خليقة جديدة. ولكن لفهم كلّ ذلك، علينا أن نلقي نظرة سريعة على قصّة الخلق الأولى في تك ١: ١ – ٢: ٣.

قصّة الخلق الأولى

يقدّم الإصحاحان الأوّلان من سفر التكوين روايتين مختلفتين لقصّة الخلق تنتمي كلّ منهما إلى أحد التقليدين الرئيسيّين اللذين تتألّف منهما التوراة بأسفارها الخمسة.

التقليد الأوّل هو التقليد التثنويّ الذي يمثّل اللاهوت الأشهر في العهد القديم، ويتميّز بكونه لاهوتًا شرطيًّا يعتبر أنّ الله هو إله إسرائيل شعب الله المختار الذي يميّز بين إنسان وآخر على أساس عرقه وجنسه واستحقاقه، ويتعامل مع الإنسان بطريقة شرطيّة بحسب استحقاقه وأعماله. أمّا التقليد الثاني فهو التقليد الكهنوتيّ الذي يتميّز بكونه لاهوتَ نعمةٍ يقدّم الله على أنّه إله كلّ الكون الذي لا يميّز بين إنسان وآخر على أساس العرق أو الجنس أو اللون، ويتعامل مع الخليقة كلّها على أساس نعمته هو.

قصّة الخلق الأولى (تك ١: ١ – ٢: ٣)، المكتوبة من قبل التقليد الكهنوتيّ، والتي نقوم بدراستها الآن، تختلف عن الثانية الموجودة في تك ٢: ٤–٢٥، والمكتوبة من قبل التقليد التثنويّ. في القصّة الأولى، يخلق الله بكلمته عوضًا عن أن يزرع الجّنة ويجبل الإنسان ،كما في القصّة الثانية. صحيح أنّ الاكتشافات العلميّة الحديثة تتحدّى قصّة الخلق التكوينيّة، وتثبت عدم صحّتها، ولكنّ هذا لا يشكّل خطرًا على صحّة الكتاب المقدّس إذا ما فهمنا واعترفنا بأنّ الكتاب المقدّس ليس كتابَ علومٍ طبيعيّةٍ؛ فالكتاب المقدّس ليس مهتمًّا بالعلم بالمفهوم الحديث للعلم، ولكنّه كتاب علميّ بمفهوم العلم في العصر الكتابيّ، أي العصر الذي كتب فيه الكتاب المقدّس، وخاصّة عهده القديم، حيث كان علم الميثولوجيا، بمفهوم ذلك العصر عن هذه الكلمة، كالعلم الذي يدور حول الآلهة وتعامل الآلهة مع الإنسان والخليقة، هو العلم الأهمّ والأسمى. وعليه، فقصّة الخلق في الكتاب المقدّس هي قصّة رمزيّة كتبت في عصر قدّس هذا النوع من العلوم، وهي بلا شكّ متأثّرة متفاعلة مع الكثير من قصص الخلق لدى الحضارات القديمة، وخاصّة قصّة الخلق في الحضارة البابليّة (إينوما إيليش) التي سيطرت على المنطقة لفترة ليست بالقصيرة.

التقليد الكهنوتيّ يخبرنا في الإصحاح الأوّل من سفر التكوين أنّ الله خلق الكون بكلمته، ولكن من الملفت هنا أنّ التقليد الكهنوتيّ لا يعلن أنّ خالق الكون هو يهوه، إله إسرائيل، بل هو يدعو خالق هذا الكون بإلوهيم، "الله". وبهذا فالتقليد الكهنوتيّ هو أوّل لاهوتيّ في الكتاب المقدّس يستعمل كلمة "الله" كاسم شخصيّ، وهو الاسم الذي نستعمله نحن اليوم؛ فخالق الكون، بحسب التقليد الكهنوتيّ، هو ليس الإله الخاصّ بشعب إسرائيل، يهوه، ولكنّه الإله الواحد لكلّ الكون، الله، "إلوهيم".

وعلينا هنا أن نلاحظ أن قصة الخلق الأولى تخبرنا بأن الله خلق الإنسان على صورته كمثاله (تكوين ١: ٢٦–٢٨). فبخلاف ما كان شائعًا في ذلك الوقت بأنّ الملوك فقط هم على صورة الله، يرى التقليد الكهنوتيّ بأنّ كلّ الإنسانيّة، من أيّ جنس أو عرق أو لون أو مرتبة اجتماعيّة أو دين، مخلوقة على صورة الله. كلّ إنسان، مهما كان جنسه، لونه، عرقه، مرتبته الاجتماعيّة، أو دينه، هو مخلوق على صورة الله، وله الأهمّيّة نفسها أمام الله. ربّما يكون هناك اختلافات بين البشر في كلّ ما يتعلّق بذلك، ولكن لهم جميعًا القيمة نفسها في عيني الربّ. وهذا بحدّ ذاته ثورة كتابيّة ولاهوتيّة في وجه بعض المقاطع الكتابيّة التي تعلن أنّ الله أمر اليهود بأن يقتلوا الكنعانيّين بسبب ديانتهم، مهما كانت.

وتعلن قصّة الخلق الأولى بأنّ الله بارك الإنسان الذي خلقه على صورته وشبهه بعهد النعمة الأوّل في الكتاب المقدّس، والذي يعطيه من خلاله السلطان فوق كلّ الخليقة، ويدعوه إلى ممارسة ذلك السلطان على صورة الله وشبهه، أي سلطان خلق حياة وإعطائها وبذل حتّى للذات. وتعلن قصّة الخلق الأولى أنّ ذلك العهد هو عهد نعمة لا ينبع من أيّ استحقاق للإنسان، وبالتالي فلا يمكن أن يفشل أو يزول.

تلك البركة هي التي يعلن أشعيا فشل الإنسان في عيشها وتحقيقها من خلال الإشارة إلى فقدان الإنسان لسلطانه، وسيطرة حيوانات البرّيّة على إسرائيل والأمم. وتلك البركة، التي تنبع من عهد لا يمكن أن يزول، وإن فشل الإنسان في دوره، هي التي يعلن أشعيا الحاجة إلى تجديدها من خلال خلق خليقة جديدة تجدّد الخليقة الأولى، وتجدّد بركة الله للإنسان وعهده الأبديّ معه.

حيوانات البرّيّة والخليقة الجديدة

يتميّز سفر أشعيا بأنّه يرسم صورة زمن موعود (١١: ٦–٨؛ ٦٥: ٢٥) تتحوّل فيه الحيوانات البرّيّة التي تسيطر الآن على الأرض إلى حيوانات أليفة ومسالمة، وإحدى أهمّ علاماته هي التغيير في علاقات الحيوانات ببعضها كما علاقاتها بالإنسان، ممّا يخلق سلامًا في الأرض، ويسمح لإسرائيل وللأمم وبالتالي للإنسان بأن يمارس سلطانه على تلك الحيوانات.

حيث يعلن أشعيا الذي يتضمّن أكبر عدد ظهور للفعل العبريّ **ברא** ("برى"، "خلق") في العهد القديم كلّه (٤٨ مرّة في العهد القديم، ١١ مرّة في التكوين، ٦ مرّات في المزامير، و٢١ مرة في أشعيا)[١]، أنّ الله، الذي "في البدء خلق السموات والأرض" (تك ١: ١)، سيخلق "سماءً جديدة وأرضًا جديدة" (أش ٦٥: ١٧)، في ارتباط واضح بقصّة الخلق الأولى، التي تنتمي إلى التقليد الكهنوتيّ ولاهوت النعمة الذي يتبنّاه ويعلنه.

بالإضافة إلى ذلك، هناك نقاط عدّة هامّة تدعم ذلك الارتباط بين أشعيا وقصّة الخلق الأولى الذي تتبنّاه هذه الدراسة. حيث أن أش ٥١: ٩–١٠[٢] تتضمّن إشارة واضحة إلى قصّة الخلق البابليّة (إينوما إيليش) التي تبنى عليها قصّة الخلق الأولى. وهناك العديد من النصوص في أشعيا التي تتضمّن صورة تحويل البرّيّة إلى خليقة جديدة (٤١: ١٨ ٢٠)[٣].

١٨. فافْتَحُ الأنهارَ على الرَّوابي، واليَنابيعَ في وسَطِ الأوديةِ، وأجعَلُ القَفرَ بُحَيرَةَ ماءٍ، والأرضَ القاحِلَةَ مَنابِعَ مياهٍ، ١٩. وأُنمِّي الأرْزَ والسَّنطَ في البرّيّة، والآسَ والأشجارَ الزَّيتونِ، وأُطلِعُ السِّنديانَ في الصَّحراءِ، والسَّروَ والشَّربينَ جميعًا ٢٠. ليَنظُرَ البشَرُ ويعلَموا جيِّدًا، ويتأمَّلوا ويفهَموا جميعًا أنَّ يدَ الرّبِّ صنَعَت ذلكَ، وقُدُّوسَ إسرائيلَ خلقَهُ".

كما أنّه ممّا لا شكّ فيه بأنّ الخروج الذي يلعب دورًا هامًّا في أشعيا، وبالتحديد في أشعيا الثاني (٤٠–٥٥)[٤]، يمثّل في العمق قصّة خليقة جديدة، وهذا هو المفهوم ذاته الذي يتبنّاه أشعيا[٥].

---

(١) LESSING, 237.

(٢) **أش ٥١: ٩–١٠:**

"٩إستَفيقي يا ذِراعَ الرّبِّ، إستَفيقي والبَسي الجَبروتَ، إستَفيقي كما في القديم، كما في غابرِ الأجيالِ. أنتِ الّتي قَطَعتِ رهَبَ، وطَعَنتِ التِّنينَ طَعنًا. ١٠وجَفَّفتِ مياهَ البحرِ، مياهَ الغَمرِ العظيمِ، فجَعَلتِ أعماقَهُ طريقًا ليَعبُرَ فيهِ المُفتَدونَ".

(٣) PACKER, 103.

(٤) PACKER, 91

(٥) LESSING, 238.

ممّا سبق، نستطيع أن نقول بكلّ ثقة أنّ تك ١ يشكّل الأساس الذي يرتكز إليه ويبنى عليه لاهوت الخليقة الموجود في أشعيا[٦]، وبالتالي، فكما أنّ قصّة الخلق الأولى هي قصّة هزم للفوضى وتنظيمها ووضع حدود لها، فإنّ الخليقة الجديدة في أشعيا يجب أن ترى بالطريقة نفسها، حيث سيطرة حيوانات البرّيّة تمثّل عودة لسيطرة الفوضى، في حين أنّ الخليقة الجديدة تمثّل إعادة للسيطرة على الفوضى، وبالتالي إعادة لعهد الخليقة وبركتها.

عهد الله مع الإنسان في قصّة الخلق الأولى هو عهد نعمة لا يمكن أن يفشل بأن يلغى، لكنّه يجدّد، نتيجة لفشل الإنسان في تحقيق دعوته برعاية الخليقة، وبالتالي يعلن أشعيا الوعد بالخليقة الجديدة، التي يخلقها الله بملء نعمته. حيث يعتمد الفردوس الموعود المؤسّس على عهد نعمة من الله على تدخّل الله المباشر في التاريخ، وليس على أيّة جهود بشريّة[٧]؛ فالإشارة إلى "جبلي المقدّس" في كلا النصَّين المرتبطَين بالزمن الموعود (١١: ٩؛ ٦٥: ٢٥)، تؤكد محوريّة وجود الله وعمله في تحقيق ذلك الوعد (Wenkel 2011, 261).

ترتبط العودة من السبي، الخروج الجديد (٣٥: ٧–٩؛ ٤٣: ١٩–٢١)، ارتباطًا وثيقًا بإعادة بناء أورشليم وإعمارها، رمز الخليقة الجديدة (٤٤: ٢٦)؛ فرغم أنّ إسرائيل والأمم تشارك الدينونة نفسها، إلاّ أنّ إسرائيل تتمتّع بامتياز أن تكون الأولى في إعادة البناء والتجديد. لكنّ إعادة بناء إسرائيل تلك تأتي نتيجة لحصولها على المغفرة، التي تحصل عليها لا لأنّها تستحقّها، ولكن فقط كعمل نعمة من الله، لأنّها بحاجة إليها (Ashby 1988, 35). إعادة بناء إسرائيل الذي بدوره يفتح الباب أمام إعادة بناء الأمم وتحقيق الخليقة الجديدة لا ينتبع من استحقاق إسرائيل أو ميزتها بحدّ ذاتها وإنّما من نعمة الله وحدها، التي تدعو إسرائيل بدورها لتكون نورًا للأمم:

١. إسمَعي لي يا جُزُرَ البحرِ، واصغُوا ايتُّها الامُمُ البعيدةُ: الرّبُّ دعاني مِنْ رَحِمِ امِّي، ومِنْ احشائِها ذَكَرَ اسمي. ٢. فَمي جَعَلَهُ كسَيفٍ قاطِعٍ، وفي ظِلِّ يَدِهِ خَبَّأني.

(٦) LESSING, 238.

(٧) SCHULTZ, 36.

جعَلَني سَهمًا مَصقولًا، وفي جُعبتِهِ اخفاني. ٣. قالَ لي: انتَ عبدي، يا إسرائيلُ، وبِكَ اتَمَجَّدُ. ٤. فقلتُ: انّا باطِلًا تَعِبتُ، وعَبَثًا اتلَفتُ قُوَّتي، ولكِنْ عِندَ الرّبِّ حَقِّي، وعِندَ إلهي جَزائي. ٥. فقالَ الرّبُّ الّذي جَبَلَني مِنَ الرَّحِمِ عبدًا لَه، لارُدَّ يَعقوبَ إليهِ، واجمَعَ شَعبَهُ إسرائيلَ، فَأُكْرَمُ في عينَيِ الرّبِّ، ويكونَ إلهي عِزَّتي: ٦. قليلٌ انْ تكونَ لي عبدًا لتُثيرَ هِمَّةَ اسباطِ يَعقوبَ، وتَرُدَّ الباقينَ مِنْ بَني إسرائيلَ، ولتكونَ نورًا للامَمِ، وخلاصًا إلى اقاصي الارضِ"(٤٩: ١–٦).

بكلمات أخرى، يعلن أشعيا أنّ تعامل الله الخاصّ مع إسرائيل كشعبه المختار لا يتعلّق بفائدة إسرائيل وحدها، ولكن في جعل إسرائيل شاهدة لله إلى الأمم، ليس بمفهوم العهد الجديد من حيث حمل رسالة الله إلى الأمم، ولكن بمفهوم تقديم مثال يجعل الأمم تطلب الله (٢: ١–٤؛ ٤٣: ١٠–١١)[٨]، أي أنّ الفهم الصحيح ينطلق من إدراك إعادة بناء الله المستقبليّة لإسرائيل كوسيلة لامتداد عمله الخلاصيّ إلى الأمم، وبركته للأمم بعد دينونته لها، واستعماله لإسرائيل كأداته في الوصول إلى الأمم ومباركتها[٩]؛ فعبد الربّ في أشعيا يشير إمّا صراحة إلى إسرائيل، وإمّا إلى شخص يمثّل كيف يجب أن تسلك إسرائيل كشعب الله المختار، نورًا للأمم (Ashby 1988, 35).

أشعيا يعلن أنّ إسرائيل والأمم، التي تمثّل الإنسانيّة، التي فشلت في تحقيق دعوتها والتمتّع ببركة الله لها في تك ١: ٢٨، وسقطت تحت سلطان الحيوانات التي كان من المفروض أن يمتلك الإنسان السيطرة عليها، ستتمتّع بخليقة جديدة إحدى الأبعاد الهامّة، ولكن غالبًا المهملة لها هو زوال سيطرة الحيوانات البرّيّة، وخضوعها لسلطان الإنسان الذي سيتمكّن من تحقيق دعوة الله له في بركة الله للإنسان في قصّة الخلق الأولى (تك ١: ٢٨)، حيث يتمتّع الإنسان بطول الأيّام (أش ٦٥: ٢٠)، ممّا يسمح له بأن يحقّق دعوته لينمو ويكثر ويملأ الأرض، وحيث يمتلك الإنسان سلطانًا كاملاً فوق الحيوانات تظهره صورة الطفل الصغير الذي يسوق كلّ الحيوانات البرّيّة (أش ١١: ٦).

لا شكّ في أنّ الحيوانات في أش ١١ و٦٥ تتمتّع في الوقت نفسه بإمكانيّة تفسيرها بشكل رمزيّ وبصعوبة القيام بذلك[١٠]، ويمكن أن تفهم بطريقة رمزيّة على أنّها تمثّل

(٨) GRISANTI, 61.
(٩) GRISANTI, 39.
(١٠) SCHULTZ, 37.

أيضًا أممًا مختلفة، لكنّ ذلك لا يتعارض مع المفهوم المعتمد في هذه الدراسة؛ فالزمن الموعود يحمل تغييرًا في الحيوانات كما في الأمم (Wenkel 2011, 261)؛ الزمن الموعود يحمل تغييرًا في علاقة الأمم ببعضها كما الأمم بالله؛ والزمن الموعود يحمل إعادة تجديد لبركة عهد نعمة الله الأوّل مع الخليقة في الكتاب المقدّس.

خاتمة: رسالة رجاء لنا اليوم

لقد حاولت هذه الدراسة أن تثبت أنّ الطريقة التي يقدّم بها أشعيا حيوانات البرّيّة والخليقة الجديدة في علاقتها بإسرائيل والأمم يجب أن ترى في ضوء بركة الله للإنسان في قصّة الخلق الأولى (تك ١: ٢٨)؛ فسيطرة حيوانات البرّيّة على إسرائيل والأمم تشير إلى فشل الإنسان في تطبيق دعوة الله له لكي يسيطر على الخليقة. في حين أنّ إعادة بناء إسرائيل والتي تمثّل إعادة بناء للإنسانيّة والخليقة بأسرها، أي الخليقة الجديدة، تشير إلى تجديد عهد نعمة الله مع الإنسان.

بذلك المعنى يحمل أشعيا رسالة هامّة لنا اليوم ونحن نعيش في منطقة تتحوّل فيها مدننا إلى خربة وبرّيّة شرسة مقفرة، ويمارس فيها الإنسان عنفًا يفوق عنف حيوانات البرّيّة بمراحل كبيرة؛ فأشعيا يدعونا إلى أن نكون أهل رجاء في وسط كل ذلك. أشعيا يدعونا لندرك أنّ الكلمة الأخيرة هي ليست للدمار والموت والبرّيّة وحيواناتها، ولكن لإلهنا خالق الكون بنعمته وكلمته، الذي يعدنا بأن يخلق خليقة جديدة من قلب الموت، ويحوّل القفر إلى ينابيع مياه حيّة، ويصنع سلامًا بين المتخاصمين، ويجدّد عهد نعمته مع الخليقة كلّها. وأشعيا يدعونا لندرك أنّ ذلك الإله يدعونا لنكون عبيدًا أمناء له، فنكون عهدًا للأمم ونورًا للشعوب، ونحمل رسالة رجائه وسلامه إلى كلّ من وما حولنا وحتّى أقصى الأرض.

Bibliography

ASHBY, Godfrey
1988 'The Chosen People: Isaiah 40-55,' *Journal of Theology for South Africa* 64, 34-38.

CALVIN, John
1979 *Commentary on the Book of the Prophet Isaiah* (translated by William Pringle; Grand Rapids: Baker).

GRISANTI, Michael A.
1998 'Israel's Mission to the Nations in Isaiah 40-55: An Update,' *Master's Seminary Journal* 9/1, 39-61.

LESSING, R. Reed
2010 'Yahweh versus Marduk: Creation Theology in Isaiah 40-55,' *Concordia Journal* 36/3, 234-244.

OSWALT, John N.
1986 *The Book of Isaiah: Chapters 1-39* (NICOT; Grand Rapids: Eerdmans).

PACKER, Charles A.
2011 'An Unfamiliar Wilderness: The Rhetoric of Reorientation in Second Isaiah,' *International Congregational Journal* 10/1, 91-108.

SCHULTZ, Richard L.
2011 'Intertextuality, Canon, and 'Undecidability': Understanding Isaiah's 'New Heaven and New Earth' (Isaiah 65.17-25),' *Bulletin for Biblical Research* 20/1, 19-38.

WATTS, Rikk E.
2004 'Echoes from the Past: Israel's Ancient Traditions and the Destiny of the Nations in Isaiah 40-55,' *Journal for the study of the Old Testament* 28/4, 481-508.

WENKEL, David H.
2011 'Wild Beasts in the Prophecy of Isaiah: The Loss of Dominion and Its Renewal through Israel as the New Humanity,' *Journal of Theological Interpretation* 5/2, 251-264.